شهريات

شهرية السياسة الدولية

انقسام العالم

قضى الأمر ، وتجلى خلال الشهر المنقضى سعى العالم سعياً حثيثاً فى سبيل الانقسام . فقد تداعت الحوادث سراعاً نحو دعم التكتل فيما اصطلح فى اللسان الدبلوماتى على التعبير عنه بالشرق وبالغرب . والشرق يعنى فى هذا اللسان روسيا السوفيتية وما يتاخمها من أقطار متلاصقة فى البلقان وفى أوربا الوسطى إلى الخط الممتد من بحر الشمال إلى البحر الأدرياتى ما عدا اليونان والنمسا وبانضمام المنطقة الروسية من مناطق ألمانيا المحتلة . والغرب يعنى فى اللسان ذاته إنجلترا وفرنسا وبلاد بينيلوكس ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية . وما بقى ، بعد الكتلتين من أمم العالم ، محل مشادة بينهما تريد كل واحدة منهما أن تظفر به كايتاليا ودول الشمال أسوج ونروج ودانمارك ، أو تريد إحداهما أن تطمئن إليه الاطمئنان كله كاسبانيا ، أو تدخله فى حوزتها ادخالا محكما كبلاد الشرق الأوسط على حد ما يسمون .

أزمة تشيكوسلوفاكيا

وقد تكون الأزمة التى حلت بتشيكوسلوفاكيا هى التى آذنت ببروز ذلك الانقسام التى كانت الجهود تبذل فى سبيله ، ولكن فى شئ من التستر والايهام . فقد كانت تشيكوسلوفاكيا ، وهى التى تكتنفها روسيا وبولونيا والمجر ويوغوسلافيا من ناحية والنمسا وألمانيا من ناحية ثانية ، واقعة بين الشرق والغرب ، راغبة فى الاحتفاظ بعلاقات حسن الجوار مع الطرفين ، وإن كانت فاقهة فى وعى مستند إلى ملابسات الحرب العالمية الثانية أن الاعتداء عليها قد جاءها من ناحية ألمانيا أول الأمر ، وأن إنقاذها قد أفاء به عليها الجيش الروسى آخر الأمر ، وأن حلفاء الغرب لم يحترموا ما كانوا قد تعاهدوا معها عليه فمكنوا منها قوات هتلر مرتين : حين ضم إلى جرمانيا الكبرى مناطق السوديت أولا ، ثم حين غزا سائر مناطقها ثانيا .

ولذلك فقد كتب عليها الميل إلى الاتحاد السوفيتى والحذر من دول الغرب ، وإن كانت تؤثر أن تستبقى علاقاتها الاقتصادية مع الجانبين . على أن الميل كان أقوى من سائر الاعتبارات إثر التحرر والعرفان للروس من أجله بالفضل ، فسرت فيها التعاليم الشيوعية ، وإن طبقت فى نطاق أضيق من النطاق السوفيتى . فقد ظل فيها الأخذ بمبدأ تعدد الأحزاب ، وظل فيها الأخذ بمبدأ الملكية الفردية ، وإن كان الحزب الشيوعى

أكبر الأحزاب نسبة — وهى قد بلغت الاثنين والأربعين فى المائة — وكان مبدأ التأميم قد نفذ فى المرافق العامة والمصارف والمناجم والملكيات الكبيرة التى انتزعت من ملاكها الألمان والسوديت الأقدمين ، والصناعات الكبيرة التى يزيد عدد العمال فى معاملها على خمسمائة .

وكانت الانتخابات قد جرت فيها لتأليف جمعية وطنية عهد إليها أمر إعداد الدستور الجديد على أن تجرى فيها انتخابات جديدة ينبعث منها البرلمان المستند إلى الدستور الجديد فى اليوم الثامن من شهر مايو المقبل . فأصبحت عاصمتها وأصبحت سلوفاكيا بخاصة مسرحاً لتنافس التيارين الشرقى والغربى قصد التأثير فى الحملة الانتخابية المقبلة كى تنتج كثرة تتجه إلى اليمين أو تتجه إلى اليسار ، ولا سيما بعد ما حدث لمناسبة عرض المساهمة فى مشروع مارشال التى قبلت أول الأمر ثم رفضت إثر زيارة قام بها رئيس الوزارة ووزير الخارجية إلى موسكو .

وبينما الأمور تجرى على هذا التنافس إذا بانقلاب أبيض يقع ؛ إذ يستقيل من الوزارة عدد من الوزراء الميينيين ، وإذ يستبدل بهم عدد آخر من المؤتلفين اليساريين ، وإذ يمضى الشيوعيون ، وقد قبضوا على أزمة الحكم أكثر مما كانوا قابضين ، قدما فى طريق التنظيف قصد الاستعداد للحملة الانتخابية المقبلة التى يودون أن يضمنوا فيها الكثرة المتفوقة .

حينئذ أسقط فى يد الغربيين وراحوا يتهمون الاتحاد السوفيتى بأنه هو المدبر للانقلاب والدافع إلى تنفيذه ، وراحوا يتلمسون طرق المقاومة وسد الطريق فى وجه التسرب إلى ما قد يتجاوز الحد الفاصل بين الكتلتين .

إتحاد غرب أوربا

وكانت الولايات المتحدة تتوق إلى قيام نوع من التكتل السياسى فى أوربا يسير إلى جانب التكتل الاقتصادى الذى تعمل له عن طريق مشروع مارشال ، فدعا وزيرا الخارجية البريتانية والفرنسية إلى تأليف اتحاد غرب أوربا الذى كان قد نادى به من قبل مستر تشرشل فى حين من الأحيان . وكانت بلجيكا وهولندا ولوكسمبرج قد عقدت بينها حلفا يقرب اقتصاديات بعضها لاقتصاديات بعضها الآخر ويخلق منها جميعاً وحدة جمركية ، فاتجهت الدعوة إلى هذا الحلف القائم بالفعل ، وانتهت المساعى والمباحثات إلى عقد معاهدة بين فرنسا وإنجلترا وتلك الدول الثلاث الصغيرة بين دول أوربا الغربية تدخل فى عداد المعاهدات الاقتصادية وتتجاوزها إلى معاهدات المعاونات العسكرية مع الاحتياط فى جعلها داخلة فى نطاق أحكام ميثاق الأمم المتحدة . فذكر فيها بصريح العبارة أن التحالف العسكرى إنما يقصد به دفع محاولة الاعتداء من جانب ألمانيا ، كما ذكر أن إجراءات هذا التحالف إنما يرجع فى اتخاذها وفى تطبيقها إلى مجلس الأمن وفق نصوص المواد المتصلة به فى ذلك الميثاق . لكن ذكر فى المعاهدة من ناحية ثانية نص على الاستمساك بمبادئ الحرية الديمقراطية وعلى التضامن فى سبيل الدفاع عن هذه المبادئ إذا قام فى وجهها خطر أو قام فى وجه الأساليب الاقتصادية التقليدية . ومعنى هذا أن الحلف الجديد متساند فى

مواجهة الآراء الشيوعية والمحاولات التى قد تجيء عن طريق روسيا للنيل من الأنظمة الاقتصادية المعمول بها فى بلاد الحلف ، وهى الأنظمة الحرة والأنظمة الرأسمالية .

مباركة الولايات المتحدة

وما إن أعلن التوقيع على تلك المعاهدة الخاصة بالحلف الأوربى الغربى حتى قام الرئيس ترومان رئيس جمهورية الولايات المتحدة يبارك الكتلة الجديدة ويعدها بالتأييد كل التأييد فى خطاب رسمى وجهه للبرلمان الأميريكى ، وفى تصريحات ذكرت فيها روسيا السوفيتية ذكراً غير طيب ، ودعيت فيها سائر بلاد أوربا إلى الانضمام إلى الحلف الجديد ، بل قيل فيها بصريح العبارة إن المعاونة المالية التى يتضمنها مشروع مارشال قد تحرم منها البلاد التى تطغى فيها الشيوعية .

إيتاليا وإسبانيا وألمانيا

والمفهوم أن هذا التهديد إنما يقصد توجيهه إلى إيتاليا . فاليوم الثامن عشر من شهر ابريل هو اليوم المحدد لاجراء الانتخابات العامة تنفيذاً للدستور الجديد وتحقيقاً للبرلمان الجديد الذى ستنبعث منه الحكومة الايتالية الجديدة . والمراقبون للتطورات الايتالية يخشون أن تكون الكثرة فى هذه الانتخابات إلى جانب اليساريين من شيوعيين واشتراكيين مؤتلفين . والولايات المتحدة تنفر نفوراً من انسياب المبادئ الشيوعية إلى ما وراء « السور الحديدى » القائم الآن إلى الشرق من تريستا والى الشرق من إيتاليا ، والمقول إنها قد تلجأ إلى أخطر الخطوات إذا أسفرت الانتخابات الايتالية عن هذه الكثرة ؛ ولذلك فهى تؤثر أن تلجأ إلى تهديداتها المالية لعلها تقنع بها الايتاليين كى يبتعدوا عن تأييد الشيوعيين ومن إليهم .

وكذلك فان مجهودات تبذل فى سبيل ضم إسبانيا إلى الاتحاد الغربى . وإسبانيا فى غرب أوربا بالذات ، بل هى فى أقصى هذا الغرب . وهى معادية للمبادئ الشيوعية وواقفة عند معاداتها من زمان . وإذا كانت هيئة الأمم المتحدة قد اتجهت يوما إلى مناوأة إسبانيا ونظامها الفاشى ، وأوصت جمعيتها العامة بقطع علاقات أعضائها الدبلوماتية مع حكومة الجنرال فرنكو ، وأغلقت بالفعل الحدود بين فرنسا وإسبانيا ، فان الأمور قد تطورت فيما بعد إلى الحد من الغضب على الحكومة الاسبانية القائمة ، وإلى فتح الحدود الفرنسية الاسبانية واستئناف العلاقات التجارية بين البلدين . وأغلب الظن أن سيتم فى القريب انضمام إسبانيا والبرتغال إلى الحلف الغربى . وبهذا يتم التكتل من المحيط الاطلنطى وغربى البحر المتوسط وغربى بحر الشمال .

وكذلك فقد تطورت الأحوال بالنسبة لألمانيا إلى حيث أصبح أمراً واقعاً أن فصل بين شرقيها وغربيها ، بين المنطقة التى تحتلها الجنود الروسية ، والثلاث المناطق التى

تحتلها القوات البريتانية والأميريكية والفرنسية . والمنتظر أن تعمل السلطات العسكرية الثلاثية فى ألمانيا الغربية لضمها إلى الحلف الغربى ، كما تعمل الولايات المتحدة لاضافتها إلى قائمة المفيدين من مشروع مارشال .

وإذن فسيكون الانقسام قد حددت معالمه على نحو ما تقدم بين الكتلتين .

لكن لا حرب

لكن هذا الانقسام لايعنى فى نظرنا أن الحرب واقعة لا محالة على حد ماتذيعه هذه الأيام نذر التشاؤم فى كل مكان . فليست الحرب من الأمور الهينة التى يقدم عليها الناس ولما ينقض وقت على التئام الجروح التى سببتها الحرب العالمية الثانية ، بل لما تتهيأ فرص الانطلاق من قيود التمهل التى فرضها التخريب والتدمير اللذان حلا ببلاد أوربا كلها .

وكل ما نستطيع تصوره إنما هو تبين الحدود الفاصلة بين المنطقتين المتخاصمتين ، وتسابق كل منهما فى سبيل الاكتفاء الاقتصادى ، وترك التعاليم وحدها تتناطح وتتحارب إلى أن تستوى الاستعدادات فتنطلق إلى انفجار عالمى ثالث أو إلى تغلب تيار فكرى اجتماعى على التيار الآخر ، فيعود إلى العالم نوع جديد من الهدوء والاستقرار .

محمود عزمى